تجنيس السرد القرآني

أ/ رياض بن يوسف
قسم اللغة العربية و آدابها
جامعة منتوري- قسنطينة/الجزائر

أزمة التجنيس، عرض و نقد:

يختلف الدارسون اختلافا بينا حين يصنفون السرد القرآني إلى أنماط محـــددة: فبينما يقتصر البعض على حصر أنواعه، انطلاقا من مضامينه، في: قصص الأنبيـــاء، و قصص الأحداث الغابرة، و قصص السيرة النبوية." ([1]) يذهب البعض الآخر إلى تصنيفات مغايرة، و لكن من المنطلق نفسه، كمحمد حسين فضل الله الذي يحصر أنواعها في: القصة التاريخية- القصة التي تذهب مذهب المثل- القصـــة القصـــيرة الخاطفة ([2])، أما "خلف الله" فيشير إلى نوعين محددين هما القصة التاريخية و القصة التمثيلية([3]) و نلاحظ التباسا واضحا بين مفهومي القصة و المثل عنده فهو يـــورد كشاهد على القصة التمثيلية ما جاء في القرآن الكريم عن فتنة داود عليه الســـلام مع الخصمين "سورة ص 21-25" رغم أنها – حسب تصنيفه هو نفسه – ينبغي أن تعد قصة تاريخية. بينما يحصر "سعيد مطاوع" ([4]) أنماط الســـرد القـــرآني في : القصة التاريخية، القصة الواقعية "يعرفها بأنها القصة التي تعرض أنموذجا لحالة بشرية فيستوي أن تكون بأشخاص واقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلـــك النمـــوذج "ص 50 ".((وهنا نتساءل: ألا تقدم القصة النبوية التاريخية نماذج بشرية تتجلى فيها

---

[1] ينظر: موسى ابراهيم الابراهيم بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم - دار عمار- عمان- ط 2 – 1416 ه- 1996م– ص 185 و مناع القطان - مباحث في علوم القرآن- مكتبة وهبة القاهرة- ط 11- 2000- ص 301.

[2] محمد حسين فضل الله- الحوار في القرآن ج 2- دار المنصوري للنشر- عين عبيد-قسنطينة-الجزائر د ت- ص15.

[3] محمد احمد خلف الله-الفن القصصي في القرآن يليه عرض و تحليل بقلم خليل عبد الكريم – سينا للنشر، مؤسسة الانتشار العربي ، لندن- بيروت-القاهرة ط4- 1999 ص 153 و ص 182.

[4] سعيد عطية علي مطاوع : الاعجاز القصصي في القرآن. – دار الآفاق العربية القاهرة – ط 1- 2006 ص 43- 68.

مختلف الصفات؟)) ، القصة التمثيلية، القصة العاطفية(**) ، القصة الرمزية(***).

أما "د. صونية وافق" فتقسم القصة القرآنية من ناحية البناء الموضوعي إلى : قصة تاريخية ، قصة واقعية ، قصة غيبية. و من ناحية طريقة العرض و أسلوب الأداء إلى : قصة قصيرة ، و قصة طويلة ، و قصة المشاهد و الحوار. ([1]) و هنا نلاحظ تقدم وعيها النقدي مقارنة بمن سبقت الاشارة إليهم ، إلا أن تقسيمها يظل ضحية لالتباس واضح ، فهل تخلو القصة التاريخية"النبوية" سواء أكانت طويلة أم قصيرة من المشاهد و الحوار؟ ألا تقدم لنا قصة نوح عليه السلام ، مثلا، مشهد الطوفان الرهيب ببلاغة معجزة وقف عندها الجرجاني مليا في "دلائل الإعجاز"([2])، و حوارا مؤثرا بين نوح عليه السلام من جهة و بينه و بين ابنه الضال من جهة أخرى ؟ ثم أليست كل قصص القرآن الكريم واقعية؟

نلاحظ من خلال التصنيفات السابقة مأزقا حقيقيا تعانيه الدراسات القرآنية على اختلاف منطلقاتها إزاء تصنيف القصة القرآنية. و من ملامح هذا المأزق، بالاضافة إلى فوضى التصنيف، عجز أغلب الدارسين عن تبيُّن الحدود الفاصلة بين

** يقصد بها تحديدا ما وقع بين امرأة العزيز و يوسف عليه السلام لاغير!! و بناء على هذا المنطق العجيب يمكننا أن نضيف إلى القائمة قصة الجوسسة التي يمثلها الهدهد و قصة المغامرات و بطلها ذو القرنين ..الخ..الخ؟!! يقول تودوروف : " لكي نعلن أن عملا معينا ينتمي الى التراجيديا(هنا ينبغي أن نستبدل القصة العاطفية بالتراجيديا) فيجب ألا تكون العناصر الموصوفة حاضرة فقط بل يجب أن تكون أيضا مهيمنة :عن– Oswald Ducrot Tezvetan Todorov: Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage- Editions du Seuil 1972- p 194. فهل تهيمن على القصص القرآني هذه "التجربة" العاطفية حتى تعد نوعا على حدة؟!

*** يمثل لها الباحث بشجرة آدم و ناقة صالح، و الواقع أنه يتوسع في معنى الرمز ، لولعه بالتصنيف و إلا فإن كل مظهر من مظاهر الوجود يختزن بعدا رمزيا معينا بداية من الثوب الذي نرتديه مرورا بآداب المائدة..الخ. فضلا عن القصة النبوية التاريخية فيمكننا دون شك أن نستخلص مثلا أبعادا رمزية من عصا موسى عليه السلام و يده البيضاء و النار التي تجلت له ، و قميص يوسف عليه السلام...الخ.

[1] **صونية وافق- دروس في التفسير الموضوعي - الجزء الثالث – القصة القرآنية- دار الفجر للطباعة و النشر-دون بيانات النشر-** ص20 و مابعدها.

[2] **عبد القاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز-** قرأه و علق عليه محمود محمد شاكر- مكتبة الخانجي-القاهرة-ط 5 -2004- ص 45- 46.

القصة و المثل . فإذا كان "الجابري" لا يرى بينهما فرقا ([1]) فإن موسى الابراهيم و مناع القطان يفصلان بينهما ([2]) . أما "خالد أحمد أبو جندي" فإنه يتناول مثل أصحاب القرية "يس 13-32" ثم يقرر أنه " ليس فيه من سمات القصة الفنية"قصيرة" أو "طويلة" أية لمحة " ([3]) و العجيب أنه وصل إلى هذه النتيجة من مقارنة المثل القرآني بقصص والتر سكوت و جورجي زيدان .. فالمثل القرآني المقصود" أصحاب القرية" ، حسبه، لا يحفل بتعميق الاحساس القومي كقصص والتر سكوت و لا يهتم بتنازع المذاهب السياسية ، و لا يمثل الكتل المتصارعة على السلطة كما يظهر ذلك في روايات جورجي زيدان . هذه الخلفية السياقية الخالصة كانت كافية له ليستنتج منها أن المثل المذكور يخلو من أية لمحة قصصية! ([4]) .. متجاهلا حضور كل "عناصر القصة" فيه.

و لعل تحليلا سريعا لهذا النموذج المثلي كفيل بابراز عناصره السردية.

قال تعالى { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18) قَالُوا

---

[1] الجابري - مدخل إلى القرآن الكريم الجزء الأول- مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت- ط 1- أكتوبر2006 : ص 157-158

[2] : موسى ابراهيم الابراهيم بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم ص 195 و مناع القطان : مباحث في علوم القرآن- ص275.

[3] خالد أحمد أبو جندي : الجانب الفني في القصة القرآنية- منهجها و أسس بنائها- دار الشهاب- باتنة- الجزائر- د ت. ص 82 .

[4] المرجع نفسه ص ص 81 - 82 . و لو كان وفيا "لمنطقه "هنا لما عد قصة يوسف عليه السلام قصة فنية.

طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (19) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (28) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (29) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (30) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (31) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (32)}"يس 13-32" .

رغم أن أغلب التفاسير الإسلامية تكاد تجمع على أن القرية هي أنطاكية، وترجح أغلبها أن المرسلين هم من حواريي عيسى عليه السلام الذين أرسلهم للقرية.([1])

[1] ينظر **عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير**. مختصر تفسير القرآن العظيم - للعلامة المحقق الشيخ أحمد شاكر- دار الوفاء- المنصورة- ط 2 – 1426 ه -2005 م- ج3 – ص 120. **ابن الجوزي- زاد المسير في علم التفسير** – المكتب الاسلامي-بيروت -دمشق- ط 3- 1404 ه- 1984 م- ج7 ص 10. **البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي**- دار الكتب العلمية- بيروت لبنان- ط 1- 1413 ه 1993م – ج 7- ص ص 312-313. **الألوسي- روح المعاني**- دار احياء التراث العربي- بيروت- دت –ج22- ص ص 220-221. – **البغوي: معالم التنزيل**- دار طيبة الرياض- 1412ه- ج7 – ص ص 10-11. **الفخر الرازي- التفسير الكبير- مفاتيح الغيب**- دار الفكر-ط1- 1401 ه 1981م . ج 26 – ص ص 50-51. **محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير و التنوير**- الدار التونسية للنشر-تونس- 1984 – ج 22 – ص ص 357-360. – **القرطبي: الجامع لاحكام القرآن**- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط 1 -1427 ه 2006م- ج 17 ص ص 422-423. – **السيوطي- الدر المنثور في التفسير بالمأثور**- مركز هجر للبحوث و الدراسات العربية الاسلامية- القاهرة- ط 1- 1424 ه- 2003 م- ج 12- ص ص 334-336. – **الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن**- هجر للطباعة و النشر و التوزيع و الاعلان- القاهرة- ط 1- 1422 ه- 2001 م- ج 19 ص ص 412- 415. **الزمخشري- الكشاف** – مكتبة العبيكان- الرياض-ط 1- 1418 ه- 1998 م- ج 5- ص 169. **ابن أبي حاتم- تفسير القرآن العظيم**- مكتبة نزار مصطفى الباز- مكة المكرمة- الرياض- ط1-1417 ه- 1997 م- ج 10- ص ص 3191- 3192. .

إلا قلة منهم ابن عطية الذي رجح أنهم رسل الله([1]) فإننا سنهمل هذه التفاسير لأنها تظل مجرد **قراءة**"بينصية" أو "تناصية" تستدعي ميراث أهل الكتاب. وسنكتفي بالنص القرآني وحده.

نحن هنا أمام نص سردي ، تظهر من خلاله العناصرالأساسية التي تميز القصة القرآنية النبوية :

الوظائف: الرسالة/ الجحود و الكفر# الايمان / العقاب.

العوامل/الممثلون: المرسلون- أصحاب القرية- الرجل المؤمن.

المكان: القرية- أقصى المدينة.

الزمان : الماضي .(كما يدل عليه السياق و لا علاقة للزمن النحوي هنا بأحداث القصة)

الحوار: و هو يمنح النص السردي هنا بعدا مشهديا، دراميا ، مما يشي بثراء " أجناسي " يميز النص القرآني الكريم.

[1] **ابن عطية الأندلسي- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**- دار الكتب العلمية-بيروت لبنان- ط 1 - 1422ه2001 م – ج 4-ص449 . و **الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن**- دار احياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي- بيروت لبنان- ط1-1418 ه -1997 م- ج 5 – ص ص 8-9.

أما **مُضمرات** هذا النص السردي فهي : أسماء القرية أو المدينة، موقعها (البلد)، أسماء المرسلين، إسم الرجل المؤمن، و الزمن التاريخي المحدَّد للأحداث (السنة..)

والذي نلحظه أن الاضمار هنا جعل من المثل بمثابة قصة خالصة تتعالى على الزمانية و المكانية ، لأنها قصة الرسل و الرسالات في كل زمان. فكأن هذا المثل تعرية للبنية السردية العميقة المنتجة لمختلف البنى السردية النبوية في القرآن الكريم.
ولا بد هنا من الانتباه إلى أن "المثل" يرد في القرآن الكريم بمعنى الشبه و الصفة. فكأن ما جاء في هذا المثل القصصي هو الركن الأول في عملية تشبيه ، أي المشبه به، طرفها الثاني، أي المشبه، هو كل من جحدوا رسالات الله و كذبوا وحيه.
و قلما يرد المثل "قصة" كاملة الأركان ، بل ربما لم يرد كذلك إلا في قصة أصحاب القرية هذه ، و قصة صاحب الجنتين (الكهف32-44).

***

إذا كانت المحاولات السابقة منصبة على تصنيف القصة القرآنية انطلاقا من منهج سياقي تفرضه طبيعة الدراسة ، فثمة محاولات مباينة للسابقة إذ أنها تنطلق من خلفية جمالية ، و رؤية شخصية تتجافى عن التقليد و الأهم من كل ذلك أنها تتخذ من مصطلح السرد عنوانا لها.

من تلك المحاولات ما قدمه د. سليمان عشراتي في دراسته" الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي". إذ يسمي القصة غير المكررة في القرآن "كقصص يوسف عليه السلام و أهل الكهف و ذي القرنين.." **القصة المكتملة أو القصة المغلقة** ، و هو هنا لا يحسم اختياره رغم الفرق الشاسع بين دلالتي

الاكتمال والغلق(*). أما القصة المكررة، كقصص موسى و صالح...الخ عليهم السلام فيسميها **القصة المفتوحة**([1])

و الواقع أن الباحث ، في تقديري ، لم يكن موفقا في اختياره . فتحت عنوان"القصة المكتملة" يتحدث عن "..القصة ذات البنية المغلقة أو المكتملة..." ([2]) . و هو هنا يستخدم مصطلح البنية المغلقة بطريقة جزافية، فلا وجود لمفهوم البنية المغلقة في المنهج البنيوي ، لأن البنية نفسها – في المنظورين اللساني و النقدي – مضادة لمفهوم الانغلاق ، فهي تعني أن" العناصر اللسانية لا تمتلك أي حقيقة مستقلة عن **علاقتها بالكل**" ([3]) و هذا المفهوم اللساني للبنية ينطبق تماما على القصة القرآنية (سواء أكانت مكررة أم غير مكررة) كبنية سردية لا تتحدد قيمتها و دلالتها **إلا من خلال علاقتها بالكل**، أي بباقي القصص القرآنية و هذا ما سنتناوله- إن شاء الله- بالتفصيل لاحقا.

وربما كان أقرب المصطلحات إلى ماقدمه "سليمان عشراتي" هنا هما مصطلحا : "النص المفتوح و النص المغلق". و مصطلح القصة ذات"الشكل المغلق" أو الدائري عند كلوفسكي. و مصطلح "الرواية المغلقة" . و بصفة موجزة " يقصد ب(النص المفتوح) ذلك النص المحدد المصدر ، و المحدد المستقبل، و المحدد المعنى، لكن تحديد المعنى لا يوقف مجموعة التفسيرات التي تلاحقه ، و لذا قيل عنه (النص المفتوح). أما (النص المغلق) فهو ذلك النص الغائم الدلالة، و برغم ذلك فإنه لا يحتمل إلا تفسيرا واحدا ، و هو ما يلاحظ بوضوح في النصوص القانونية

---

* من حيث الدلالة المعجمية طبعا فليست هناك علاقة ترادف بين الاكتمال و الغلق. و لنضرب مثلين بسيطين في صيغتي تساؤل لنجلو الفرق بين المفردتين : هل "اكتمال" بناء طريق مثلا يعني "غلقه" أم العكس؟! و هل "اكتمال " نمو الوردة يعني"انفتاحها" أم العكس؟!

[1] **د. سليمان عشراتي الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر - 1998.** ص 69-72.

2 م ن ص 70

3 O.ducrot -T.todorov .Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage- p 32. والتأكيد على"علاقتها بالكل" من عملنا. و تنظر الصفحة من البحث حول مفهوم البنية.

والعلمية...." ([1]) أما "الرواية المغلقة" فهي الرواية التي تعمد إلى تأسيس عالمها الداخلي الخاص بها ...مهملة احيانا المحيط الخارجي ، و من ثم فالمتلقي يهاجر من عالمه إلى عالم الرواية التي أصبحت هي حقيقة وجودها في ذاته.([2]) أما القصة ذات" الشكل المغلق" عند كلوفسكي. فهي تعتمد الدائرية حيث تكون البداية هي النهاية كأن يبدأ النص بنبوءة أو تكهن يتحقق في النهاية ([3])

لا يمكننا طبعا أن نعد النص القرآني" نصا غائم الدلالة..لا يحتمل إلا تفسيرا واحدا." فهو نص عربي مبين ، ويحتمل أكثر من تفسير كما يشهد به الواقع فثمة المئات من التفاسير المتباينة له.

و لا يمكن أن نزعم أن القصة القرآنية" تصنع عالمها الداخلي مهملة العالم الخارجي" لأن القصة القرآنية خطاب وعظي تذكيري ، يختزن البشائر و النذر، ويحيل على الواقع التاريخي و الكوني باستمرار . كل ذلك بأسلوب أدبي فاتن.

أما مفهوم الدائرية كما تقدم به "كلوفسكي " فقد ينطبق على قصة يوسف عليه السلام، لكنه لا ينطبق ، بحال ، على قصة اهل الكهف أو قصة صاحب الجنتين مثلا. و في سياق المحاولات التصنيفية دائما، يقترح "شارف مزاري"(*) ما يسميه " **المستويات السردية** " للقصة القرآنية و يحصرها في : - السرد الايقاعي — السرد الانشادي — السرد الدائري — السرد المشارك — السرد الاضماري ([4]).

---

1 د.محمد عبد المطلب- **النص المفتوح و النص المغلق- مجلة محاور-القاهرة- ع 2 سنة 2005** ص 46.

2 م ن ص 47 بتصرف . ونقله عن : نظرية الرواية موريس شرودر و آخرين- ترجمة د محسن الموسوي مكتبة التحرير- بغداد- 1986- ص 73.

3 م ن. ص ن. بتصرف .

* لقد طالت وقفتنا مع الباحث لسببين: أولا لأن موضوعه يشبه موضوعنا (من ناحية الشكل طبعا) و ثانيا لدعواه في المقدمة (ص7) "أن الدراسات البلاغية القديمة للقرآن مجرد رؤية تأملية حققت في مجملها آية (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ولم تتجاوز مبدأ الانبهارية والإعجاب. " أي أن ما قدمه عمالقة ك : الجرجاني أو القاضي عبد الجبارأو الزمخشري..الخ يقف دون ما قدمه الباحث..... فهؤلاء عجزوا عن إثبات إعجاز الكتاب الكريم و الأستاذ الفاضل جاء لينسخ " بنظريته "نظرياتهم المتواضعة!

4 **شارف مزاري- مستويات السرد الاعجازي في القرآن الكريم منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - 2001** ص 128- 193.

و لدينا هنا عدة ملاحظات على هذا التصنيف :

أ)- فيما يتعلق **بالسرد الايقاعي** كما سماه الباحث لدينا ثلاث ملاحظات.

أولا : الايقاع خصيصة قرآنية أصيلة تميز كل سوره و آياته.فلماذا يوصف بـه السرد تحديدا؟ لا يقدم الباحث أية إجابة " استباقية " عن مثل هذا السؤال.

ثانيا: إذا كان الحديث عن حضور الايقاع في السرد القرآني فالمركب الوصـفي المناسب هو الايقاع السردي لا السرد الايقاعي. إن المركب الوصفي الذي اقترحه الباحث يعني حرفيا أن هناك سردا قرآنيا مشتملا على الايقاع و آخر يفتقر إليه.

ثالثا: تعسف الباحث الشديد حين أراد اثبات وجهة نظره ، فتحـت عنـوان فرعي هو"السرد الايقاعي في الشكل(الفونيم) و في المحتوى (المعنى) " يحلل أوائل "**سورة النجم**" آية ً آية . انطلاقا مما يسميه ثنائية الشكل و المضمون أي ثنائيـة الايقاع و المحتوى الدلالي **[والنَّجْمِ إِذَا هَوَى، ما ضَلَّ صَاحِبُكُم ومَا غَوَى، ومـا يَنْطِقُ عَنِ الهوَى، إن هُو إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوى، ذُو مرَّةٍ فاسْـتَوى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلى عَبْـدِهِ مَا أَوْحَى]** (النجم 1-10)

وقد مهد لهذا الاجراء حين تحدث عن الميل في الألف المقصـورة ، و هـذه عبارته:

" إن الألف المقصورة –في جوهرها- مديد مائل خطّاً. إذ هي قبل أن تكـون في صورة (ى) كانت ألفاً (ا). ونحن نتحسـس هـذا ونستشـعره حـال النطـق بها.(كيف؟!)

وبهذه الطريقة نوضح ذلك. ا=ى. أي كان الألف عمودياً ثم – وبواسطة الكتابة – أصبح مائلاً. أي كان على هذا النحو: ا ثم صار علـى هـذا: ى. فتحقـق الميل.(!!)

على هذه النمطية التي تباشرها السورة بمدخلها، يتواصل السرد الإيقاعي بملازمـة جرسية واحدة هي نبرة الفواصل المسموعة من خلال صائتها الرئيسي المجسـد في الألف المقصورة.

هذا على صعيد الحرف (ى) وظهور خاصية الميل فيه. أمـــا علـــى صـــعيد المضمون فإن عنصر الميل يتحقق عبر الفونيمات العشرة، ويمكن أن نتمثـــل هـــذه الظاهرة فيما يعرف بالأنوماطوبيا (onomatopoeia) التي تعني "محاكـــاة اللفـــظ بصورته لمعناه".

وقد ألفيناها حاضرة في هذا النموذج. إذ نجد الصوت مقترناً بالمعنى المحمـــول على المقطع.(!!!؟؟؟؟) ( )*

إننا لو تتبعنا السرد لألفيناه بمظهرين.

- مظهر بارز ترسمه الألف المقصورة التي تنتهي بها كل المقاطع.
- مظهر داخلي يحاكي الأول من طرف خفي على صعيد المحتوى. "([1])

إذن فحسب الباحث هناك"ميل" نراه بأم أعيننا في رسم الألف المقصورة ....

و نتساءل: لماذا سماه الباحث "ميلا"؟!! لماذا لم يسمه الحناء أو التفافا أو التواء ..و هذه الألفاظ أدق و أصدق من لفظة الميل في وصـــف رســـم الألـــف المقصورة؟!!

بعد هذا التمهيد يدرس الباحث- تحت العنوان الفرعي المذكور آنفا – ثنائية الميل شكلا و مضمونا ، فيقول عن الآية الأولى **"و النجم إذا هوى"** أن " الشكل يتضح في رؤية الشهب وهي تسقط ليلاً. أفلا ترى مائلة؟..... وأمـــا المضـــمون فيتضح حين ***جعله الله قسما. فهو بهذه الصفة مال إلى مخلوق خلقه***، (!!!)وهـــو النجم. ونقطة التلاقي والاشتراك هي الميل." ([2])..

التأكيد على العبارة هنا من عملنا و أكتفي به تعقيبا. أحب فقـــط أن أســـجل تعجبي من جرأة الباحث على نسبة عاطفة"الميل" إلى الذات الالهية حتى يستقيم له تأويله هذا.

---

* " الأنوماطوبي onomatopée (الحاكية الصوتية كما يترجمها المنهل) هي وحدة لسانية"أي لفظة" تم ابتكارها لمحاكاة صوت طبيعي ، ف:تيك تاك tic-tac التي تهدف إلى إعادة تمثيل صوت المنبه ، و كوكوريكو cocorico التي تقلد صوت الديك ، كل منهما حاكية صوتية" عن: **Jean Dubois et autres- dictionnaire de linguistique – LIBRAIRIE LAROUSSE –Paris- 1973- p 346.** فهل ألفاظ : و- النجم- إذا- هوى- ما- ضل- صاحبكم ...الخ حاكيات صوتية؟؟!! يبدو هذا "تسللا" واستغفالا للقارئ....

[1] شارف مزاري المرجع نفسه ص ص 130-131.

[2] شارف مزاري - م ن . ص 132.

أما الآية الثانية "**ما ضل صاحبكم و ما غوى**" فيقول في تحليلها" الضلال والغي:

عكس الهدى والرشاد. وهما مظهران يحيلان إلى الزيغ والانحراف. فالرسول صلى الله عليه وسلم نعت بهما، الأمر الذي جعل السارد (الإله) يستعمل أسلوب النفي ليرفع عنه هذه النعوت. وعسى أن يكون هذا واضحاً على صعيد المحتوى.

أما على مستوى الشكل فإنهما يصنعان ميلاً نستشعره في أذهاننا (؟!!)ويرتبط بمضمون كلمتي (ضل) (غوى) وبخاصة في الألف المقصورة.

ويمكن الاستعانة بهذا الرسم، لتوضيح المطلوب.

أ الرسول ضال من منظورهم

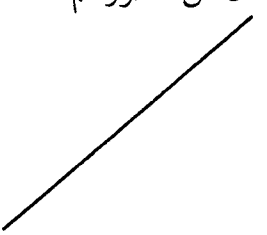

ب الغواية والضلال" ([1]) ..

إذن ف"الضلال" و"الغي" يصنعان "ميلا" على **مستوى الشكل** ، و رغم أنه على مستوى الشكل فإنه مرتبط **بمضمون الكلمتين** (!) ..و يظهر خاصة في **الألف المقصورة**.(!!)

و لعل كلمتي الضلال و الغي شديدتا الغموض حتى يضطر الباحث إلى بيان ضديهما "الهدى و الرشاد"، ثم مرادفيهما "الزيغ و الانحراف" ثم غرضهما أو مناسبتهما "نفيهما عن الرسول صلى الله عليه و سلم بعد أن نعت بهما".. ونتساءل ما الذي عساه أن يكون واضحا على صعيد المحتوى؟ و ما علاقة كل هذا الكلام المتناسل ذاتيا بـ..."الميل"؟!

و في تحليل قوله تعالى" و ما ينطق عن الهوى" يقول الباحث " إن نطق

[1] م ن. ص 132-133.

الرسول صلى الله عليه وسلم ليس مرجعه لمجرد هوى في نفسه، بل هو وحي يوحى. هذا وحده يكفي لتجسيد خاصية الميل."([1]) (!!)و عجيب أمر الباحث مع هذا الميل.. لعله يقصد أن الوحي نزل عبر طريق مائل؟! أجل !فهو يقول في تحليل الآية التالية :"**إن هو إلاوحي يوحى**" " فالوحي (القرآن) كان في اللوح المحفوظ ثم أنزل "من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا (ليلة القدر) جملة واحدة ثم نزل منجماً في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين على حساب الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة". هذه الحركة تحقق ميلاً.(!!!!!!)

ولك أن ترسم حركة النزول من السماء الدنيا إلى الأرض.

أ السماء الدنيا

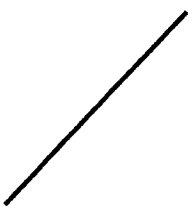

ب الأرض "([2]) ...

و يمضي الباحث في "تحليل" الآيات اللاحقة بالطريقة المذكورة نفسها. ( )*

ب)- أما **السرد الانشادي** فيقصد به الباحث اللازمة القرآنية بوصفها مظهرا لغويا ينهض على التكرار البلاغي الهادف و من أمثلتها في القرآن الكريم"أإله مع

---

1 شارف مزاري - المرجع نفسه ص 133.

2 المرجع نفسه ص134. دليل الباحث على دعواه إذن هو هذا الخط الذي لا بد أن يكون مائلا دائما! و هنا "يمثل" به لحركة نزول الوحي من السماء..و هي" بالتأكيد" حركة مائلة لعل الملاك جبريل كان مضطرا إليها !(....)

* يقارن "تحليل الباحث" لأوائل سورة النجم بتحليل الأستاذ **عادل عبد الله القلقيلي لها في كتابه "كشوف جديدة في اعجاز القرآن الكريم" – شركة الشهاب- باتنة- الجزائر- ط2- 1408 ه – 1988 م**- ص 91-101. حيث يرى أن العلاقة بين القسم و المقسم عليه في أن النجوم الهاوية أي الشهب انما هي سلاح ضد الشياطين حتى لا توحي بالضلالات إلى قلب الرسول صلى الله عليه و سلم و بالتالي فهو معصوم من الهوى بهذه الشهب و الوحي معصوم من استراق الشياطين للسمع بهذه الشهب أيضا ... و ما دمنا نحيل على هذا المرجع القيم ، فلابأس أن ننوه بتحليله الرائع لسورة الكوثر دون اعتساف في التأويل ص 15- 19.

الله" في سورة النمل و آية " فبأي آلاء ربكما تكذبان" في سورة الرحمن..الخ([1]) .
و لدي عليه ثلاث ملاحظات:

أولا: تجمع أمهات المعاجم العربية كمعجم العين و الصحاح على أن النشيد هو الشعر الذي يتناشده القوم، و في تهذيب اللغة و لسان العرب و تاج العروس أن الانشاد و النشيد رفع الصوت، فانشاد الشعر هو رفع الصوت به. و لا تشير أي من هذه المعاجم إلى علاقة و لو واهية بين معنى النشيد و معنى التكرار الذي يتحقق في اللازمة، فالنشيد مشتق من الفعل نشد، وهو يعني طلب الأعرابي القديم لضالته و تعريفه بها أي رفعه صوته معرفا بضالته و من هنا جاءت مفردة النشيد لتدل على رفع الصوت بالشعر ([2]) أما المعجم الوسيط فإنه يعرف النشيد بأنه الصوت، ورفع الصوت مع تلحين، و الأنشودة، و قطعة من الشعر أو الزجل في موضوع حماسي أو وطني تنشده جماعة، و المنشد من يؤدي الشعر بتلحين وحسن ايقاع([3])

إذن لا علاقة بين الانشاد و بين اللازمة التي تتكرر في القرآن. و لعل الباحث وهم فربط بين اللازمة التي ترد في بعض الأناشيد الوطنية و بين اللازمة القرآنية. و هو ربط خاطئ، لان هذه اللازمة ليست خاصة بالأناشيد، فالشعر العربي منذ العصر الجاهلي إلى اليوم يحفل بمثلها([*]). ثم إن النشيد لم يسم

---

[1] ينظر : شارف مزاري م ن ص 145 -147.

[2] **ينظر : لسان العرب لابن منظور**- دار المعارف- القاهرة- ج 6 ص 4422- **تهذيب اللغة للأزهري** تحقيق محمد عوض مرعب دار احياء التراث العربي بيروت لبنان ط1-2001 – ج 11 ص 222- **الصحاح للجوهري** تحقيق أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين-بيروت ط4-1990 ج 2 ص 544 . **تاج العروس للزبيدي** تحقيق عبد الستار أحمد فراج- مطبعة حكومة الكويت 1391 ه- 1971م. ج 9- ص 223- **كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي مرتبا على حروف المعجم** .ترتيب و تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي –دار الكتب العلمية بيروت-لبنان –ط1- 2003م- 1424ه – ج4 –ص 221.- **المحكم و المحيط الأعظم لابن سيدة** تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية بيروت لبنان- ط1- 2000 م- 1421 ه– ج8- ص 29-

[3] **المعجم الوسيط** – مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية- ط4- 1425 ه- 2004 م– ص 921

[*] من أمثلتها في الشعر الجاهلي شطر" بأي مشيئة عمرو بن هند" الذي يتكرر ثلاث مرات في معلقة عمرو بن كلثوم. **ديوانه جمعه و حققه و شرحه الدكتور إميل بديع يعقوب- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- ط2-1416ه- 1996م** - ص 78- 79. و من أمثلتها في الشعر الحديث "لازمة" لست أدري" التي تتكرر في قصيدة الطلاسم لإيليا أبي ماضي- **ديوانه- دار العودة بيروت** ص191. 214. و الأمثلة لا تحصى كثرة.

نشيدا إلا لارتفاع الصوت به، و التغني به من طرف جماعة من المؤدين، أما القرآن الكريم فالأداء الصوتي الخاص به هو التجويد أو الترتيل حدرا أو تحقيقا. فلا يقال أنشد القرآن بل يقال: قرأه أو تلاه أو جوده أو رتله .

ثانيا: إذا تجاهلنا ملاحظتنا السابقة، فإن اعتراضا آخر لن يلبث أن يقوم: هذه اللازمة تتكرر في القرآن الكريم كله، بل إن التكرار سمة مميزة له و قلما ترد في الكتاب الكريم آية لا تتكرر في موضع بعينه أو في سورة أو سور أخرى. و ما دام الأمر كذلك فلماذا خص الباحث السرد بوصف الانشادي"أي السرد المشتمل على اللازمة"؟.

ثالثا: ما دام الباحث قد تحدث عما سماه"السرد الايقاعي" فلماذا لم يدرج ما سماه"السرد الانشادي" معه. ألا تحقق اللازمة القرآنية ايقاعا للسورة؟ يبدو أن الباحث يحصر الايقاع القرآني في توافق الفواصل فقط.

ج) - أما **السرد الدائري** فقد ألفينا الباحث يقترب فيه كثيرا مما طرحه الدكتور سليمان عشراتي ([1]) و لذلك نكتفي بما قلناه هناك. و لكننا ننوه بالتحليل الجميل الذي قدمه لمحوري الفعل و الانفعال في قصة يوسف عليه السلام. ([2])

د) – أما **السرد المشارك** فهو مصطلح ينقله الباحث عن "خالد أحمد أبو جندي" و هذا الأخير في الواقع إنما يتحدث عما يسمى بوجهة النظرأو التبئير دون أن يذكر ذلك أو على الأصح دون أن يعيه. و لقد وقع "أبو جندي" في خلط شديد في تصنيفه و التبس الأمر عليه و أساء التعبير، و كل هذا ينم عن عدم استيعابه مطلقا لمفهوم وجهة النظر([3]). و الذي يعنينا هنا أن الأستاذ شارف مزاري ينقل عنه مصطلح "السرد المشارك" و يضعه في غير سياقه. ثم يتناول بالتحليل

---

[1] تراجع الصفحتان5-6 من هذا البحث.
[2] شارف مزاري- المرجع السابق ص ص 171-172.
[3] ينظر خالد أحمد أبو جندي- الجانب الفني في القصة القرآنية منهجها و أسس بنائها ص 238-239.

سورة "**عبس**" محاولا أن يستخرج منها بنيتين سرديتين متقابلتين...([1]) و يبدولي أن السرد المشارك – حسب ترتيبه في السياق كما أورده أبوجندي- ([2]) يقابل ما يسمى ب"الرؤية مع Vision avec " و تعني أن الراوي يساوي الشخصية الحكائية أي أن معرفته على قدر معرفة الشخصية الحكائية. ([3]) و لكن كلا من الباحثين أساء فهم مدلول المصطلح .

و حتى لو تجاهلنا هذا الأمر و سايرنا الباحث شارف مزاري في منطقه فإننا نلاحظ تعسفه حين أراد أن يفكك وحدة السرد في سورة "عبس" كأن هناك قصة عن ابن أم مكتوم رضي الله عنه و قصة أخرى عن مشركي قريش، و الواقع أن هذه القصة – شأنها في ذلك شأن سائر القصص القرآني- إنما تنبني على ثنائية ضدية محوراها الايمان و الكفر، ايمان القلة المستضعفة و كفر الأكثرية المستقوية بالمال و الجاه. هذان المحوران يصنعان القصة معا و لا يمكن الفصل بينهما. أما " السرد المشارك " بالمعنى الذي فهمه الباحث فله أمثلة في الآداب العالمية ([4]). و لا شاهد عليه من القرآن الكريم.

٥) – أما السرد **الاضماري** ([5]) كما سماه الباحث فنكتفي في التعقيب عليه بالاشارة إلى أن الاضمار هو أسلوب مطرد، ثابت في القرآن الكريم، و في القصص القرآني تحديدا و هذا أمر لا يحتاج إلى بيان. فلا مسوغ إذن لنسبة الاضمار إلى السرد. و كان المنطق هنا يقتضي أن تسبق الصفة الموصوف فيكون الحديث عن

---

[1] شارف مزاري – المرجع السابق- ص 177- 184.

[2] حيث يقع بين السرد المتنوع أو السرد الكلي العلم (يلاحظ هنا عدم تفريقه بين السرد و السارد و هذا غيض من فيض كما يقال) و أسلوب الثالث الذاتي "الرؤية الغير مباشرة"الصواب غير المباشرة" – يراجع- خالد احمد أبو جندي- المرجع السابق- ص 237-239.

[3] حميد لحمداني- بنية النص السردي- المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- بيروت- ط3-2000. ص 47.

[4] من الأمثلة على ذلك رواية"**الشيطان يزور موسكو – المعلم و مارغريت- لميخائيل بولغاكوف**- حيث تبدو الرواية روايتين في كتاب واحد احداهما تاريخية و الأخرى معاصرة. صدرت الرواية بالعربية عن دار المروج- بيروت-1986. ترجمة ابراهيم شكر.

[5] شارف مزاري- م ن ص 185- 193.

"الاضمار في السرد القرآني" و هو قريب جدا من مصطلح الحذف أو القطع L'éllipse عند جيرار جينيت.([1]) و له في تراثنا البلاغي مقابل هو الحذف.

البديل المقترح: النبأ أو الرواية القرآنية.

من خلال استقصائنا للمفردات الدالة على معنى القصة في القرآن الكريم وجدناها تنحصر في لفظتين، الأولى هي **القصة** نفسها و هي لا ترد في القرآن الكريم إلا فعلا "قصصنا، نقص، اقصص... أو اسما بصيغة الجمع " القصص، قصصهم..."، و الثانية هي "**النبأ** " بمختلف صيغها، اسما مفردا أو جمعا او فعلا.(*)

ويجمع المفسرون على أن القصة هي بمعنى الخبر مع الاشارة إلى معان قريبة من الخبر كما في تفسيرهم لمفردة القصص في قوله تعالى **{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}آل عمران -62** ([2]) كما تكاد المعاجم العربية تجمع على أن القصة بمعنى الخبر و الحديث مع اختلافات لاتمس بجوهر التعريف ([3]). أما **النبأ**، فهو يدل على أخبار الماضين أيضا ، كما في

---

[1] **جيرار جينيت – خطاب الحكاية ترجمة محمد معتصم – عبد الجليل الأزدي - عمر الحلي – منشورات الاختلاف- الجزائر – ط 3- 2000** – ص 108 .

* يرد لفظ القصة بمختلف صيغه 24 مرة و هذا بيان مفصل لمرات ورودها: آل عمران 62 النساء 164 (2) الأنعام 57 الأنعام 130 الأعراف7 الأعراف 35 الأعراف 101 الأعراف176 (2) هود100هود120 يوسف3 (2) يوسف5 يوسف111 النحل 118 الكهف13 طه99 النمل76 القصص 25 (2) غافر 78 (2) أما لفظ النبأ بمختلف صيغه فيرد39 مرة و هذا بيان مفصل لمرات وروده: البقرة33 (2) المائدة27 الأعراف175 التوبة70 التوبة 94(2) يونس71 يوسف37 إبراهيم9 الكهف13 الشعراء69 ص 21 ص 67 ص 88 الحجرات6 النجم36 التغابن5 التحريم3(4) القيامة 13 الأنعام34 الأنعام67 النمل22 القصص3 النبأ2 آل عمران44 الأنعام5 هود49 هود100 هود120 يوسف102 طه99 الشعراء6 القصص66 الأحزاب20 القمر4

[2] البحر المحيط505/2.البغوي49/2روح المعاني190/3.البقاعي444/4الرازي92/8.السيوطي612/3.الطبري467/5.القرطبي5/160التحرير و التنوير 266/3..ابن ابي حاتم668/2الثعالبي55/2ابن عطية 448/1.

[3] القصة بمعنى الخبر لسان العرب3651/5- المحكم و المحيط الأعظم لابن سيده 101/6- الأزهري تهذيب اللغة 210/8 و في".العين مرتبا على حروف المعجم"395/3...القصة معروفة.و في الصحاح ج1051/3. القصة الأمر و الحديث و في تاج العروس ج104/8 الأمر و الحديث و الخبر.

قوله تعالى {أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّـهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } – التوبة70 . و لكنه قد يدل على القرآن الكريم أو على **الحدث الحاضر** كما في قوله تعالى {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ}ص 67.([1]) و قد يدل على **المستقبل** كما في قوله تعالى { فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} الأنعام– 5 . ([2]).

نلاحظ بناء على ماسبق أن "**النبأ** " أشمل من "القصة" التي تطلق على قصص الماضين فقط.([*]). فالنبأ يشمل القصة النبوية التاريخية ، و القصة الراهنة ، أي المعاصرة لنزول القرآن الكريم ، و قصة الجزاء. **و بناء على هذا فإن أنسب تسمية نراها للسرد القرآني هي النبأ** ، و هو قريب من مفهوم الرواية .

---

[1] **في عمدة التفاسير لابن كثير**ج3/ 176- أي خبر عظيم و شأن بليغ هو إرسال الله اياي إليكم. و **في ابن الجوزي** ج154/7 "..و في المشار إليه قولان أحدهما هو القرآن- قاله ابن عباس ، و مجاهد، و الجمهور.و الثاني أنه البعث بعد الموت، قاله قتادة ". و **في البحر المحيط 390/7** "الضمير في قوله"قل هو نبأ" يعود على ما أخبر به صلى الله عليه و سلم من كونه رسولا،منذرا داعيا إلى الله " .

[2] **في البحر المحيط** ج4-ص79 يذكر من وجوه تفسير "أنبائهم" في سورة الأنعام 5 "..و قيل هو عذاب الآخرة". و في **الرازي**/ج166/12-167 أنه "..العذاب الذي أنذر به تعالى و نظيره" و لتعلمن نبأه بعد حين" ..ثم المراد من هذا العذاب يحتمل أن يكون عذاب الدنيا ..و يحتمل ان يكون عذاب الآخرة". **و الطبري 156/9.** يؤول ذلك بقتلهم يوم بدر بالسيف. و **في القرطبي**8/"324 " و المراد ما نالهم يوم بدر.و قيل يوم القيامة."و **في تفسير ابن أبي حاتم**" سيأتيهم يوم القيامة أنباء ما استهزؤوا به من كتاب الله عز وجل"1263/3.و **في تفسير ابن عطية**ج268/2 " وهذه العقوبات التي توعدوا بها تعم عقوبات الدنيا كبدر و غيرها و عقوبات الآخرة" – و **في الكشاف : ج224/2.**" ..سيعلمون بأي شيئ استهزؤوا.....و ذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيامة ، أو عند ظهور الاسلام و علو كلمته".

[*] يرى **عبد الكريم الخطيب**"- **القصص القرآني في منطوقه و مفهومه**" **دار الفكر العربي 1384 ه 1965 م** - ص 47-48 أن القرآن الكريم يستعمل" النبأ" في الإخبار عن الأحداث التي مضى الزمن بعيدا بها ، والخبر و الأخبار في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع- ا.ه و الواقع أن القرآن الكريم لا يكاد يستعمل الخبر (بالتحريك) مفردا إلا مرتين على لسان موسى حين رأى النار" سآتيكم منها بخبر" النمل7- "العلي آتيكم منها بخبر" القصص 29- " و ترد جمعا في ثلاثة مواضع" قد نبأنا الله من أخباركم" التوبة 94- " ونبلو أخباركم" محمد 34- " تحدث أخبارها" الزلزلة 4- و واضح من هذه الشواهد أنه لا يستخدم الخبر في الكشف عن أية وقائع قريبة أو بعيدة العهد بالوقوع. أما "النبأ " فقد أثبت بالقرآن الكريم و أقوال المفسرين دلالته على الماضي و الحاضر و المستقبل. و في القرآن الكريم شواهد أخرى تنفي أن تكون دلالة "النبأ "على" الأحداث التي مضى الزمن بعيدا بها" كقوله تعالى"..إن جاءكم فاسق بنبأ.." الحجرات6- و قوله تعالى على لسان الهدهد "وجئتك من سبإ بنبإ يقين" النمل 28. أما حول مفهوم الخبر فنحيل على الدراسة القيمة **للدكتور محمد القاضي** " **الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية كلية الآداب-منوبة – تونس – دار الغرب الاسلامي – بيروت لبنان ط1- 1419 ه 1998 م**- خاصة ص 107- 119.

و الواقع أن "**قصة الجزاء**" لا يلتفت إليها الدارسون الذين يتناولون القصة القرآنية ، أو لعلهم على الأصح لا ينتبهون إلى وجودها أو أدبيتها السردية. رغم أنها قصة مستقبلية يحفل القرآن الكريم بمشاهدها، و هي في الفضاء السردي القرآني تمثل ما يسمى النهاية أو الخاتمة في الرواية.

فالسرد القرآني الكريم له نقطة بداية هي **قصة الخلق** (خلق آدم عليه السلام وخروجه من الجنة). و هي من خلال بنيتها الوظيفية تمثل النموذج الأولي **للقصة النبوية**، و قصة الانسان على الأرض حتى يوم البعث.ثم تأتي **قصة الجزاء**، التي تتقلص فيها البنية الوظيفية و تزول، بحيث يصبح الفاعل الدنيوي " الآدمي" منفعلا، مفتقرا لأية فاعلية .

و بين قصة الخلق، و قصة الجزاء، **قصة الانسان على الأرض أو قصة الحياة الدنيا**، وهي قصة تُضمَر معظم ملامحها، و لكن النص القرآني لا يخلو من إشارات إليها. "سورة يونس الآية24 مثلا."

خلاصة ما تقدم أن السرد القرآني يشمل **الماضي (قصة الخلق- القصة النبوية- المثل القصصي) و الحاضر(المضمر و المشار إليه) والمستقبل (قصة الجزاء)**. و أن أنسب تسمية له مستخلصة من القرآن نفسه: **"النبأ"**. فهذا اللفظ أطلق في القرآن الكريم على قصص الماضين، و على القرآن الكريم **حال نزوله**، وعلى قصة الجزاء. و قد اعتبرنا "النبأ " بهذا المعنى قريبا من **الرواية** ، ومنه نستنتج : **أن أفضل مقاربة للسرد الأدبي في القرآن ينبغي أن تتم انطلاقا من كونه رواية ، لا قصصا متناثرة** . و لا يعني هذا استبعاد مصطلح القصة القرآنية ، و لكنه يعني التعامل معها **كبنية سردية صغرى** ضمن بنية أكبر هي الرواية القرآنية أو النبأ القرآني.

و لا شك أن ثمة اعتراضات متوقعة على ما استنتجناه ، و سأناقش هذه الاعتراضات المتوقعة بالتفصيل:

1) – أول اعتراض متوقع هو حول **تشظي السرد القرآني** ، و توزعه على مختلف السور. فكيف نجمع أشتاته ليستقيم لنا الزعم بأنه "نبأ" (بصيغة المفرد) أو رواية؟

وردنا على هذا الاعتراض أن النص القرآني يمتاز بالوحدة الكلية في المقاصد والأغراض، و السرد بوصفه أبرز مكونات النص القرآني لا يخرج عن دائرة المقاصد القرآنية العامة. ثمة لحمة بين أجزاء النص القرآني كله ، و السرد بهذا ملتحم بالخطاب التكليفي التشريعي . و لو صح مثل هذا الاعتراض لكان أولى به من تناولوا القصة القرآنية بوصفها قصة منعزلة عن سياقها الكلي : فالذي نسعى إليه هو إعادة السرد القصصي القرآني إلى ذلك السياق القرآني العام من خلال إعادة تركيبه.

إن النظرة التجزيئية للسرد القرآني و إغفال بنيته الكلية من شأنها أن توقع المتلقي في عمى قرائي لا مخرج منه إلا باستجماع عناصر السرد. من نماذج ذلك العمى القرائي، ما وقع فيه محمد أحمد خلف الله، حين تحدث عن " اختلاف عبارات الشخص الواحد في الموقف الواحد " و هو يريد بذلك إثبات نظريته حول"لا تاريخية" القصة القرآنية، يقول:

" ...و من ذلك تصويره لموقف الاله من موسى حين رؤيته النار فقد نودي في سورة النمل بقوله"**فلما جاءها نودي أن بورك من في النار و من حولها**" و في سورة القصص "**فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين**" و في سورة طه" **فلما أتاها نودي يا موسى. إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى**"..." ([1])

لو أدرك " خلف الله " السرد القرآني في بعده الكلي، لما عجز عن دمج هذه العبارات القرآنية، التي بدت له مختلفة، في عبارة واحدة طويلة " **بورك من في النار و من حولها. يا موسى إني أنا الله رب العالمين. إني انا ربك فاخلع نعليك، إنك بالوادي المقدس طوى**".

2)- ثاني اعتراض أتوقعه **هو افتقار السرد القرآني للترتيب**. وأرد على هذا الاعتراض بأن الرواية الحديثة نفسها تتلاعب بالزمن و لم تعد تؤمن بالخطية الزمنية. فالروائي الحديث حسب "برادبري" " قد فقد شيئا ما من ايمان القرن التاسع عشر بالواقعية، من التسلسل و التتابع المنطقي للعمل الروائي" ([2]) و في السياق نفسه يرى بوتور أنه لم يعد هناك شكل ثابت للرواية"...بل على العكس فإن الوقائع

[1] محمد أحمد خلف الله – الفن القصصي في القرآن- ص 82.

[2] **مالكوم برادبري – الرواية اليوم .ترجمة أحمد عمر شاهين. الهيئة المصرية العامة للكتاب1996** - من المقدمة ص 9.

المختلفة التي تعالجها الروايات يجب أن تتوافق معها أشكال مختلفة من السرد الروائي" ([1]) إن الرواية الحديثة تشبه غابة أو بناية معقدة " ومهما كان الباب الذي نلج منه فإن الشيئ نفسه هو الذي يحدث" ([2]).

و قد لاحظ عبد الله ابراهيم من خلال دراسته للمتون الروائية العربية في الستينيات من القرن العشرين" أنها صيغت على نحو تتناثر فيه مكونات المتن في الزمان" ([3])

3)- ثالث اعتراض أتصوره هو: **التكرار في السرد القرآني**. و لن أتطرف في الرد فأزعم مثلا " أن أكثر القصص القرآني تتكرر فيه الشخصية، و لا تتكرر فيه الحادثة" ([4]) و لكنني ألاحظ أن التكرار أولا و قبل كل شيئ هو سمة أسلوبية عامة في القرآن. و أتساءل: هل التكرار ضد السرد؟ بمعنى هل هو نقيض السرد؟ الجواب طبعا بالنفي. و رغم ذلك فإن التكرار القصصي في القرآن ليس تكرارا خالصا بل ثمة عناصر سردية تغفل في قصة و تبرز في قصة اخرى.([5]). و نلاحظ أن التكرار أحد التقنيات في الرواية الحديثة، و قد استخدم هذه التقنية روائيون كبار كلورانس داريل في" الرباعية الاسكندرانية " و وليم فولكنر في " الصخب و العنف " و هي تقنية تعود إلى تعدد الشخصيات المشاركة في المادة الحكائية و لما كانت الرؤى مختلفة أدى هذا إلى إعادة جزء من المتن أو المتن كله أكثر من مرة ([6]) و قد

---

[1] **ميشال بوتور – الرواية كبحث-** ضمن كتاب الرواية اليوم- اشراف مالكوم برادبري- ص 45.

[2] **ميشال بوتور- بحوث في الرواية الجديدة- ترجمة فريد أنطونيوس- منشورات عويدات بيروت باريس ط 3-1986** ص 107.

[3] **عبد الله ابراهيم : المتخيل السردي- المركز الثقافي العربي- بيروت – الدار البيضاء- ط1-1990-** ص 109.

[4] عبد الكريم الخطيب- القصص القرآني في منطوقه و مفهومه- ص 45.

[5] ينظر- **محمد مشرف خضر-بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم- بحث مخطوط مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب – جامعة طنطا - مصر - 2001 .** ص 50 .

[6] ينظر- عبد الله ابراهيم- المتخيل السردي ص 111 - 112. و كذلك يمنى العيد: الراوي ، الموقع، الشكل: ص 115-122. حيث تتناول بالتحليل رواية"ميرامار" لنجيب محفوظ.

يـُعترض علينا هنا بأن السرد القرآني لا يعرف تعدد الرؤى لأن الراوي واحد و هو الله سبحانه. و نجيب بأن غياب تعدد الرؤى لا ينفي تعدد زوايا النظر، فكل قصة مكررة في القرآن تحمل عناصر جديدة.([1])

4) الاعتراض الرابع الذي يمكن ان نواجهه هو **غياب أو ضمور بعض العناصر "الضرورية"** في السرد القرآني.

و جوابنا أن السرد القرآني في كليته غني بالتفاصيل. و حتى لو تجاهلنا هذا الأمر، و تعاملنا مع بعض القصص القرآنية معزولة عن سياقها، فينبغي ألا ننسى دور القارئ في استكناه مضمرات النص. فالقارئ- بالاضافة إلى المؤلف- يضفيان على النص - حسب كلر- ما هو أكثر من المعرفة باللغة- يضفيان عليه خبرة إضافية.([2]) و من المعلوم أن العربي القديم كان ملما بطرف من القصص القرآني كقصتي عاد، و ثمود، فهناك " تناص" يستحضر من خلاله المتلقي العربي المعاصر للبعثة النبوية " نصوصا " ([3]) قديمة من خلال النص القرآني الكريم.و هذا ما يفسر- ربما -عدم إسهاب النص القرآني في ذكر التفاصيل الخاصة بقوم هود و صالح عليهما السلام، لأن"القرار فيما يتعلق بمقاس الحكاية إنما يكون رهنا بكفاية القارئ التناصية"([4]). و لعل هذه " الكفاية التناصية " عند القارئ المعاصر أرحب مدى، و أبعد غورا.

---

[1] ينظر ما قدمه محمد مشرف خضر في - المرجع السابق ص 17-51.

[2] **عن السيد ابراهيم- نظرية الرواية- دار قباء القاهرة 1998.** ص .38

[3] نستخدم هنا النص "استثناء" بمعناه الشامل لكل الخطابات عند هيلمسليف وغيره.ينظر: Jean dubois et autres –Dictionnaire de linguistique. P. 486. و نقصد بالاستثناء أن هذا المفهوم لا يمس منهجنا الاجرائي.

[4] **أمبرتو إيكو : القارئ في الحكاية- ترجمة أنطوان أبي زيد- المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء بيروت – ط 1-1996** ص 136- و يقصد ايكو (أو المترجم على الأصح) هنا بالمقاس حجم الحكاية أو طولها.